كلية العلوم الانسانية والاجتماعية السنة الأولى جذع مشترك: علوم اجتماعية،

مقياس: مجالات العلوم الاجتماعية ، اعداد: أ.د. رحاب مختار

مجالات الفلسفة

المحاضرة رقم 01: حول مفهوم الفلسفة وأهدافها

1/ تعريف الفلسفة

استُعملت كلمة فلسفة في معاني متعددة عبر التاريخ، واتسع معناها في بعض المراحل ليستوعب العلوم العقلية بأسرها، فيما تقلص هذا المعنى في مراحل أخرى فاستُعمل عند البعض كما في الفلسفة الإسلامية ليدل على الفلسفة الأولى، التي تبحث في المسائل الكلية للوجود التي لا ترتبط بموضوع خاص. و من الوجهة التاريخية الأصلية يمكن القول بأن الإنسان بدأ يفكر تفكيرا منطقيا، عندما بدأ يفكر تفكيرا فلسفيا. وبدأ الإنسان تفكيره الفلسفي ، حينما أخذ يبتعد ويتخلى عن التفكير الأسطوري الخرافي القديم. لأن التفكير الفلسفي يقابل الشكل الخرافي الاسطوري بالشكل المنطقي للعقل المؤسس على الحجة والبرهان .

والعقل الفلسفي يستند في تفكيره على مجموعة من المقولات والقواعد والصور الذهنية مثل العام والخاص، الوحدة والتنوع، الصدفة والضرورة، التماثل والاختلاف. فالتفكير المنطقي يبدأ إذن لدى الإنسان، عندما تصبح تلك القواعد المنطقية الى آلية يستخدمها العقل في تأسيسه للحقيقة . غير أنه لكي تظهر وتترسخ في الذهن هذه القواعد يشترط قبل ذلك ثبات نوع من النظام والاستقرار داخل المجتمع البشري. وذهب الكثير من مؤرخي الفلسفة على اختزال استخدام القواعد المنطقية في تأسيس الحقيقة الممتد عبر الزمان والمكان باليونان فقط، واعتبروا المنحى العقلي في الحضارة اليونانية هو بداية الوعي العقلي المنتظم في حياة الإنسان وصار هذا الوعي معبراً عن البادرة الأولى للمعرفة الفلسفية في التاريخ حسب زعمهم. بيد أن الإرث العقلي الذي عثر عليه خبراء الآثار في بقايا تراث وادي الرافدين، ووادي النيل، والصين، والهند، وغيرها من الأمم القديمة، برهن بشكل واضح على حضور الوعي الفلسفي فيما تم تفسيره من الكتابات على الألواح الطينية الكثيرة التي وصلتنا من تراث هذه الأمم. فمثلاً عثر المنقبون في وادي الرافدين على أكثر من مليون لوح طيني ترقد تحت طبقات الأرض من بقايا الحضارات السومرية والبابلية والآشورية.

ويمكن القول أن التفكير الفلسفي لا تتحدد نشأته بعرق أو جنس خاص من بني الإنسان، أو بقعة جغرافية محددة، وإنما هو ماثل في كل مكان وحاضر في حياة جميع الشعوب، فهو موجود في كل زمان ومكان حيثما كان الإنسان وعاش في مجتمع، بل نستطيع أن نؤكد أن هذا التفكير لا ينفصل عن الكائن العاقل، حتى إذا افترضنا أن الإنسان عاش وحيداً في جزيرة، كما دلل على ذلك الفيلسوف الاسلام ابن طفيل ذلك لان هذا التفكير إنما هو مظهر لنزوع العقل البشري لتفسير الواقع المحيط به والتعرف على أسراره، واكتشاف موقعه ومبدئه ومصيره كجزء من هذا الواقع، وتحديد وظيفته في ضوء هذه الرؤية.

2- مميزات الحقيقة العلمية:

يسعى كل من العلم و الفلسفة إلى كشف الغموض الذي يحيط بالإنسان و من ثمة فإن بلوغ الحقيقة هو الهدف المشترك من البحث العلمي و الفلسفي في آن واحد ، وإن اشترك العلم و الفلسفة في نفس الهدف - وهو بلوغ الحقيقة - فإنهما يختلفان في طبيعتها. فالحقيقة التي يطلبها العالم مغايرة للحقيقة التي يطلبها الفيلسوف" **و الحقيقة ليست شيء من الأشياء بل هي حكم على الأشياء بما هي عليه** ". وتتميز الحقيقة العلمية بالخصائص التالية :

أ- حسية:

الحقائق العلمية حقائق مادية ندركها بالحواس، لأن موضوع العلم مادي محسوس و إن لم تدرك بالحواس مباشرة فإن آثارها تدرك بالحواس " **و لهذا صح أن نقول أن القوانين العلمية حقائق علمية لأننا نعلم أن عناصرها مدركات حسية، و لأن العلاقة القائمة بينها على أساس الاقتران في الوجود و الغياب هي أمور تدرك بالحواس في إطاري الزمان و المكان** ". ولتوضيح الأمر يكفي أن ننظر إلى الحقائق الموجودة على مستوى البيولوجيا أو الفيزياء، فهي حقائق مدركة. بالحس أو على الأقل يمكن إدراك آثارها بالحس، و كل ما يخرج عن قدرة الحواس و استطاعتها خرج من دائرة الحقيقة العلمية.

ب- ظاهرية:

لما كانت المعرفة العلمية حسية كانت بالضرورة ظاهرية، بمعنى أنها محصورة في حدود الصفات الحسية التي تظهر بها للحواس، أي أن معرفة الشيء تكون في حدود الصفات التي يظهر بها و التي تميزه عن غيره من الأشياء الأخرى[3]. بحيث يجعل هذه الصفات الظاهرة العالم قادرا على دراسة الأشياء و إصدار الأحكام عليها دون خوف من تبدلها أو تغيرها أو إخفائها لماهية تختلف عن الماهية التي تظهرها.

ج - موضوعية:

ولا يقصد بالموضوعية هنا الموضوعية المقصودة في الروح العلمية والتي تعني الاعتدال وعدم التعصب ، و إنما لها مدلول آخر مفاده، أن الحقيقة التي تصل إليها الذات العارفة مصدرها الموضوع المعروف، وحقيقة الشيء موجودة في موضوعه، وينجر عن هذا أن الحقيقة العلمية ثابتة لدى جميع طالبيها[4].

د - و اقعية:

أي أن الحقيقة العلمية موجودة في الواقع المحسوس، و لا يمكن أن تبدعها مخيلة العالم. فهي تجري في الزمان و تمتد في المكان، و لا يستطيع الباحث أن يوجه الحقيقة العلمية وفقا لإرادته أو رغبته، لأن الحقيقة العلمية خارجة عن الإرادة الحرة للعالم، و تفرض نفسها عليه، و ما هو إلاّ باحث عن واقعها كما هو موجود.

و - كمية قانونية:

المعرفة العلمية تصاغ في شكل قوانين رمزية تنتهي إلى مقادير قابلة للقياس و كل ما خرج عن نطاق المقدار خرج عن دائرة العلم، و لا يمكن أن يعرف معرفة علمية. و العلم اليوم يركز على المقادير القابلة للقياس بعيدا عن العلة و المعلول. و تمتاز القوانين العلمية بأن لها شروط معلومة و أنها شاملة لجميع الأسباب و هذا ما يجعلها حتمية، و حتمية القوانين دلالة على علميتها.

ه - عملية:

الحقيقة العلمية لها غاية عملية أي أنها تستخدم للتأثير على الواقع العملي المتعلق بحاجات الإنسان اليومية[8].وصلاحية الحقيقة العلمية عندئذ متوقعة على مدى تغيرها و انسجامها مع الحياة اليومية.

ي - وضعية:

الحقيقة العلمية تعكس العلاقات الضرورية التي تربط الظواهر بعضها بالبعض الآخر.و لن تكون الحقيقة العلمية بعد هذا بحاجة إلى إضافات أو زيادات يفترضها العالم.

ن - نسبية:

والنسبية هنا تعني التخصص فلكل علم من العلوم موضوعه وقانونه و خصائصه، فالرياضيات مثلا لها حقيقتها الخاصة و المتمثلة في توافق المقدمات مع النتائج وفقا لقواعد الاستنتاج و يكون للتاريخ حقيقته الخاصة و المتمثلة في مدى و جود شواهد قوية على التفسير للحوادث الماضية.

إذن الحقيقة العلمية تتغير معاييرها و وسائلها من علم إلى علم و تبقى الحقائق العلمية قابلة للتغير و التعديل رغم الدقة المشهودة فيها، و رغم الاتفاق بين العلماء حول الحقيقة العلمية الواحدة.

أ/ قيمة البحث الفلسفي:

الفَلْسَفَةُ حقل للبحث والتفكير يسعى إلى فهم وتفسير كل غموض يصادف الإنسان في هذه الحياة، كما أننا بالتفلسف نحاول أن نصل الى الحقيقة والمعرفة، وأن ندرك كل ما له قيمة أساسية وأهمية عظمى في الحياة. كذلك تنظر الفلسفة في العلاقات القائمة بين الإنسان والطبيعة، وبين الفرد والمجتمع. والفلسفة نابعة من التعجّب وحب الاستطلاع والرغبة في المعرفة والفهم. بل هي عملية تشمل التحليل والنقد والتفسير والتأمل.

وكلمة فلسفة لا يمكن تحديد معناها بدقة؛ لأن موضوعها مُعقد جدًا ومثير للجدال. فقد تختلف آراء الفلاسفة حول طبيعتها ومناهجها ومجالها. أما كلمة فلسفة في حد ذاتها فأصلها من الكلمة اليونانية فيلو صوفيا التي تعني حب الحكمة. بناءً على ذلك فالحكمة تتمثل في الاستخدام الإيجابي للذكاء، وليست شيئًا سلبيًا قد يمتلكه الإنسان.

عاش رواد الفلسفة الغربية المعروفون، في اليونان القديمة في مطلع السنوات الخمس مائة الأولى ق.م. وقد حاول هؤلاء الفلاسفة الأوائل أن يكتشفوا التركيبة الأساسية للأشياء، وكذا طبيعة العالم والواقع. وكان الناس في استفسارهم عن مثل هذه المسائل يعتمدون إلى حد كبير على السحر والخرافات وأصحاب الخبرة. لكن فلاسفة اليونان اعتبروا هذه المصادر من المعرفة غير موثوقة، وعوضًا عن ذلك التمسوا الأجوبة عن تلك المسائل بالتفكير ودراسة الطبيعة وللفلسفة تاريخ طويل في بعض الثقافات غير الغربية، خصوصا في الصين والهند. وانتقلت الفلسفة وازدهرت أيضا عند المسلمين لا سيما في عصر المأمون، كما كان للفلسفة المسيحية نشاطها الفكري أيضا خاصة قضايا النفس واللاهوت، ثم انتعشت الفلسفة الغربية بشقيها الحديثة والمعاصرة لتعالج قضايا تهم الإنسانية وفي جميع المجالات السياسية والنفسية والاجتماعية والعلمية وغير ذلك، وهاهي الفلسفة العربية اليوم تناضل من أجل إيجاد مخرج لتخلف الإنسان العربي .

ما يهمنا هنا ان الفلاسفة عبر الأزمان وجهوا بحثهم وتفكيرهم للرقي بالبشرية وحل مشاكلها، وهذا ما نحن مطالبون به اليوم من خلال بحوثنا الفلسفية . وبهذه البحوث نفند كل مقولة تدعي ان البحث الفلسفي عقيم ونبرهن أن أهل الفلسفة هم أعقل الناس حد تعبير المفكر الفرنسي ديكارت.

وليحقق البحث الفلسفي غايته ونفعيته لابد له من ضوابط. فطالب الحقيقة الفلسفية يجب أن يدرك خصائصها ومميزاتها، كما يجب أن يتمتع بالقدرة على بناء المقال الفلسفي وتحليل النصوص الفلسفية واختيار المنهج المناسب للإشكالية التي يعالجها.

ب/ مميزات الحقيقة الفلسفية:

الحقيقة الفلسفية مغايرة كليا للحقيقة العلمية و هدف الفيلسوف و اهتمامه يختلف عن هدف العالم و إن كان التكامل بينهما قائما و هذه بعض ميزات الحقيقة الفلسفية.

- عقلية:

الحقيقة الفلسفية لا يمكن تحصيلها بواسطة الحس، لأن ميدانها غيبي ميتافيزيقي لذا يلجأ الفيلسوف إلى استخدام التأمل العقلي لبلوغ الحقيقة مخترقا بذلك حدود الواقع الحسي، فالعالم الفيزيائي مثلا ينظر إلى تركيبة الأجسام الخارجية و بنيتها الداخلية التي تكون سببا في حركتها، بينما الفيلسوف يتعدى هذا الأمر إلى دراسة الروح في الإنسان. و الروح كما هو معلوم شيء ميتافيزيقي غيبي لا يدرك بالأعضاء، و إنما بالعقل " فيعرف العقل بحركة الفكر التي تتحدى ضروب الإثبات الجزئية و المحتويات المحدودة وتزعزعها و تذيبها ".إذن يعمل العقل على تجاوز حدود الحواس و حتى إبطال حقائقها.

- غيبية:

بما أن الحقيقة الفلسفية تتجاوز، الحس فهذا يعني أنها غيبية ما ورائية فالأشياء ذات مظاهر تندرج في نطاق الحقائق العلمية و ذات جواهر خفية يستبطنها العقل و يدركها، و قبل فهم جواهر الأشياء كان لزاما علينا التسليم بوجودها ثم البرهنة عليها. فنحن نسلم بوجود النفس ثم نتغلغل لفهم حقيقتها، و نفس الشيء يقال عن الله فنحن نسلم بوجوده ثم نبرهن على هذا التسليم باستخدام العقل.

- ذاتية:

الحقائق الفلسفية لا تعرف الاتفاق، فلكل فيلسوف تصور ذهني يعمل على إثبات هذا التصور الذهني، و إعطاء الأدلة الكافية الدالة على وجود هذا التصور **" فالحقيقة الفلسفية تختلف باختلاف الذوات العارفة و تتفق باتفاقها بحسب الاختلاف و الاتفاق في الوسائل و الغايات "**، و إن اتفق ذاتان على نفس الحقيقة ففي الغالب يختلفان في طريقة الإثبات.

- كيفية:

الحقيقة الفلسفية لا تعكس المقادير التي تتألف منها الأشياء و المتأثرة ببعضها البعض، و إنما تبحث عن علاقة الموجودات بعضها بالبعض الآخر و كيفية استمرار هذه العلاقات[6]. فمشروع الفلسفة هو البحث عن سبب و كيفية حدوث الظواهر لا عن مقدار و كمية هذه الظواهر كما هو وارد في العلم.

- تحليلية:

تعتمد الفلسفة على التحليل " **و هو إرجاع الكل إلى أجزائه** ". والتحليل الفلسفي قائم على التحليل الذهني الخيالي، و المتمثل في عزل أجزاء الموضوع عن بعضها عزلا كليا و ذهنيا و دراسة هذه الأجزاء، و لقد بين كانط* حقيقة التحليل المتعالي الذي تهدف إليه الفلسفة و عرفه بأنه " **علم الصور القبلية التي يتألف منها العقل و هو يقوم على تحليل المعرفة للكشف عن المبادئ و المفاهيم القبلية التي تجعل المعرفة ممكنة** ".

وأكد رسل على ضرورة التحليل في الفلسفة و بين أن رفض الفلسفة التحليلية هو رفض للتقدم العلمي.

- علية وجوهرية:

يحاول العلم تجاوز العلل و البحث عن المقادير القابلة للقياس لكن الفلسفة تبحث دائما و بتركيز على العلل المؤدية إلى حدوث الظاهرة، و البحث بواسطة العلل في نظر الفلاسفة يدل على التعمق في حقيقة الظاهرة، و لما كانت الحقيقة الفلسفية عليه كانت بالضرورة جوهرية، أي أنها لا تنتهي إلى دراسة قانونية بل تتجاوز هذا الأمر إلى دراسة سبب وجود هذه القوانين.

- نظرية و مطلقة:

الحقيقة الفلسفية نظرية، يبنيها العقل على مجموعة من الأسس التي يتصورها هو، من أجل تكوين صورة تتناسق فيها جميع التصورات التي يؤمن بها لينتهي بذلك العقل إلى تفسير نظري. ويمتاز التفسير الفلسفي بالشمولية. فالفيلسوف يبحث عن تفسير مطلق و شامل للعالم " **فالفلسفة في جانبها النظري تعين على فهم العالم ككل ما أمكنها هذا** ". معنى هذا أن فهم العالم بجميع حيثياته و تصوره تصورا عاما هو هدف الفلسفة.

المراجع :

- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1،
- محمود فهمي زيدان : الاستقراء والمنهج العلمي ، دار الجامعات المصرية الاسكندرية ،1977
- جمال ميموني و نضال قسوم : قصة الكون ، دار المعرفة الجزائر، 2002
- محمود قاسم: المنطق الحديث و مناهج البحث، ط6 ، دار المعارف مصر
- عبد الرحمان بدوي : المنطق الصوري و الرياضي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، 1968
- لالاند : الموسوعة الفلسفية ، ترجمة خليل احمد خليل .
- محمود يعقوبي، خلاصة الميتافيزيقا ، ج2 .

- غاستون باشلار: الفكر العلمي الجديد ، ترجمة عادل العوا، تقديم جلالي اليابس، موفم للنشر الجزائر، 1994 - الدراجي زروخي : المذاهب الفلسفية الكبرى ، دار صبحي للطباعة و النشر، 2015
- الدراجي زروخي : منهجية البحث الفلسفي : دار صبحي للطباعة و النشر، 2013
- الدراجي زروخي : إشكاليات أساسية في العلوم الاجتماعية ، دار صبحي للطباعة و النشر، 2013